

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله الذي حض على التقوى ووصى ، وأحاط بكل شيء علما وأحصى ، واصلي واسلم سيدنا محمد الذي اسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعلى اله وأصحابه أولي المناقب التي لا تعد ولا تحصى ، أما بعد:

لقد بعث الله عز وجل الرحمة المهداة ﷺ إلى البشرية فأخرجهم من الظلمات إلى النور وبعد أن كانت تحكمهم العادات والتقاليد الجاهلية وجعل الأصرة التي تربط الإنسان بالإنسان هي أخوة الإسلام والحب في الله والبغض في الله ، بعد أن كان اللون والقومية والقبلية والعنصرية هي عنوان تجمعهم.

فبدأ الإسلام يصدر للبشرية الأخلاق الفاضلة ، فساد الإسلام في جزيرة العرب وبعدها انتقل إلى باقي دول العالم ، فراسل النبي ﷺ ملوك الأرض ودعاهم إلى الله تعالى ، فأعز الله دولة الإسلام فكسر الله ظهور الأكاسرة ، وقصر آمال القياصرة ، وانتشرت دعوة الإسلام في أصقاع هذه المعمورة في وقت لا يعد في حساب الزمن شيئا .

وبعد أن تقادم الزمان وذهبت القرون بدا المسلم يتراجع شيئا فشيئا ويدخل إلى قلوب الناس الوهن ، فنزع الله تعالى المهابة من قلوب أعداء هذه الأمة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» .

قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمِنْ قَلَّةٍ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَتَعْرِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» .
قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» .

وَالْعُتَاءُ: مَا يَسِرُّ مِنَ النَّبْتِ، فَحَمَلَهُ الْمَاءُ، فَأَلْقَاهُ فِي الْجَوَانِبِ، يُقَالُ: غَثَا السَّيْلُ الْمَرْتَعُ: إِذَا جَمَعَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَذْهَبَ حَلَاوَتَهُ، وَقَوْلُهُ^(١).

فأصبحت الأمة اليوم ينطبق عليها حديث الرسول ﷺ مستضعفة يملأ عليها من غيرها بعد ان كانت هي التي تملأ عليهم.

ولم يكتفي الأعداء بذلك بل طمعوا في إخراج المسلم من إسلامه فاستخدم الأعداء كل الوسائل في تنصير المسلم وتغريبه على طول الزمان . وأعظم الوسائل الكثيرة المتنوعة التي جاءتنا عن الغرب بعد أن أصبحت أمريكا هي القطب الأوحـد في العالم بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، فجاءت إلى العالم كله بعنوان جديد(العولمة)بمعنى (الأمركة)لتوهم به العالم فتستسيغه كل بلدان العالم وخصوصا العالم الإسلامي . فمن خلاله تطمح إلى تغيير العادات والتقاليد الإسلامية وأذابت الشخصية الإسلامية والفكر الإسلامي في الفكر الأمريكي فبدأت بنزع كل مظاهر التدين والستر والعفة وان يكون المجتمع بلا دين وجعل التكشف والعري هي القانون السائد في المجتمع أما لبس الحجاب والنقاب والحشمة فهذا لابد من محاربته ، وبالفعل في بعض البلدان العربية تمنع دخول المرأة المنقبة والمحجبة إلى الجامعات في بلدهم وهو بلد إسلامي .

كم تعرض العالم الإسلامي إلى غزو عسكري وثقافي ، تعتبر العولمة من أخطرها وأكثرها أثرا لأنها، دخلت على المسلمين في بيوتهم وألبست عليهم، وأوهمتهم ، وصدقنا نحن أكاذيبها وسرنا خلفها فرمتنا بسهامها.

^١ - شرح السنة - محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت- ط ٢ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

بل لم تسلم من - العولمة - ونشر الفكر الأمريكي حتى الدول الغربية منها مثل فرنسا والصين عانت منها واتخذت مواقف ضدها ، فهي من اخطر أنواع الغزو الذي جاءت به أمريكا إلى العالم كله.

وللتنبية عن هذا الخطر كتبنا البحث المتواضع عنوانه (العولمة آثارها وموقف الإسلام منها) فكان من أربعة مباحث:

المبحث الأول: العولمة تعريفها وأنواعها .

المبحث الثاني: العولمة (الأمركة) والخصوصية الثقافية.

المبحث الثالث : الآثار السلبية للعولمة الثقافية.

المبحث الرابع :ما موقفنا نحن المسلمون من العولمة .

ثم ختمنا بحثنا بخاتمة وبعدها المصادر والمراجع ،

والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

الباحث

فرضت ظاهرة العولمة نفسها بقوة في السنوات الأخيرة منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي فسمّاها بعضهم "العولمة" وأطلق عليها آخرون "الكوكبة"^١ وأصبحت الكلمة مؤشراً على التغيرات التي يمكن أن تطرأ على صورة العالم والعلاقات بين الشعوب والحضارات والثقافات وقد ارتبط ظهورها بانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك العسكر الشرقي من الناحية السياسية وازدهار الثورة ومن ثم مطالبة أمريكا دول العالم بتوقيع اتفاقية التجارة العالمية بقصد سيطرة الشركات العابرة للقارات على الأسواق العالمية عام ١٩٩٥ م ومقرها في جنيف والتي خلفت الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية (الجات)^٢.

إن مما يؤكد أن العولمة بثوبها الجديد أمريكية المولد والنشأة، ثم توقيع قادة دول العالم ١٩٩٨ م لاتفاقية التبادل الحر واقتصاد السوق الذي أصبح إيديولوجية تسيطر على العالم.

العولمة لغة: مصدر على وزن (فعله) مشتق من كلمة (العالم)، كما يقال (قوبلة) اشتقاقاً من كلمة (قالب)^٣ فيكون اللفظ مشتق من العالم، والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر.

أما العولمة في الاصطلاح: أن العولمة على ما سبق مشتق من العالم أي: صرنا عالمين ومعنى العالمية: أن تتحد كل شعوب العالم في جميع أمورها على نحو واحد وهيئة واحدة في الجملة، فيكونوا كبيت واحد، وأسرة واحدة، فلا يكون هناك شعب فقير وشعب غني ولا شعب أمة وشعب

^١ - ينظر: د. محمد علي حوات، العرب والعولمة مكتبة مدبولي - القاهرة - مصر ٢٠٠٤ م ط ٢ ص ٩.

^٢ وهي اختصار لعبارة <<الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية>> وأهداف الجات ومن بعدها المنظمة العالمية للتجارة هي: تحرير التجارة الدولية وإزالة الحواجز الجمركية وفتح الأسواق الدولية أمام المناقشة.

^٣ - ينظر: المسلمون والعولمة د. يوسف القرضاوي دار التوزيع والنشر الإسلامية - بور سعيد - مصر - ١٤٢١ هـ -

متقف ولا شعب تختلف اقتصادياته أو سياساته أو ثقافته أو اجتماعياته أو سائر شؤونه عن شعب آخر وإنما يكون الانتماء للعالم كله كالانتماء إلى دولة واحدة كلها ، فإن البلاد وإن كانت مختلفة ولم يتصل بعضها ببعض ، لكن الفكر يكون واحداً ، والاتصال موجوداً ويبقى الاختلاف قليلاً وبشكل جزئي في بعض النقاط وفي المناطق الصغيرة من أطراف العالم ١ .

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل العولمة عالمية؟، إن إيجاد الفرق بينهما فيه نوع من الصعوبة وخصوصاً أن كلمة العولمة مأخوذة أصلاً من العالم ولهذا نجد بعض المفكرين يذهبون إلى أن العولمة والعالمية تعني معنى واحد وليس بينهما . ولكن الحقيقة أن هذين المصطلحين يختلفان في المعنى فهما مقابلة بين الشر والخير .

فالعالمية: انفتاح على العالم، واحتكاك بالثقافات العلمية مع الاحتفاظ بخصوصية الأمة وفكرها وثقافتها وقيمها ومبادئها . فالعالمية إثراء للفكر وتبادل للمعرفة مع الاعتراف المتبادل بالآخر دون فقدان الهوية الذاتية . وخاصية العالمية من خصائص الدين الإسلامي ، فهو دين يخاطب جميع البشر ، دين عالمي يصلح في كل زمان ومكان ، فهو لا يعرف الإقليمية أو القومية أو الجنس جاء لجميع الفئات والطبقات ، فلا تحده الحدود . ولهذا تجد الخطاب القرآني موجه للناس جميعاً وليس لفئة فكم آية في القرآن تقول : "يا أيها الناس" فمن ذلك قوله تعالى : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر

١ - ينظر: د. محمد عبد القادر حاتم ، العولمة مالها.. وما عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب _ القاهرة _ مصر

وأنتى " وقوله تعالى : "ياايها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً" وقوله تعالى : "قل ياايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة"^٢ إلى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها لفظة الناس .

أما العولمة فان مسألة وضع تعريف دقيق لها مسألة لا تخلو من صعوبة ،ومرجع هذه الصعوبة إلى أن العولمة متعددة الجوانب ،الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية ، وكل جاب من هذه الجوانب يقتضي تعريفاً للعولمة مناسباً له . كما ترجع هذه الصعوبة من ناحية أخرى من الموقع الذي يتخذه الباحث في موقفه من ظاهرة العولمة ، فبعضهم المتقائل بها ومنهم المتشائم منها وبعضهم الآخر يتخذ موقفاً وسطاً يقيس الإيجابيات والسلبيات . لذلك فانه ليس هناك تعريف جامع مانع لها ، فهو مصطلح غامض في أذهان كثير من الناس ، ويرجع سبب ذلك إلى أن العولمة ليست مصطلحاً لغوياً قاموسياً جامداً يسهل تفسيرها بشرح المدلولات اللغوية المتصلة بها ، بل هي مفهوم شمولي يذهب عميقاً في جميع الاتجاهات لتوصيف حركة التغيير المتواصلة .

ومن مجموع تعريفاتها ومن منظورها الإسلامي يمكن القول أنها : فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم ، وخصوصاً الشرق ، والعالم الثالث ، ولا سيما العالم الإسلامي ، . . إنها في اجلى صورها تعني تغريب العالم أو أمركة العالم فهي اسم مذهب باستعمار جديد ، خلع أرديته وأساليبه القديمة ، ليمارس عهداً جديداً تحت مظله هذا العنوان اللطيف "العولمة" وأي دولة تتمرد أو ترفض الهيمنة لابد أن تودب^٣ إنها انسلاخ عن قيم

^١ - سورة الأعراف الآية - ١٥٨

^٢ - سورة النساء الآية - ١

^٣ - ينظر : المسلمون والعولمة د . يوسف القرضاوي ص ١٤ ، ١٣ بتصرف .

ومبادئ وتقاليد وعادات الأمة وإلغاء شخصيتها وكيانها وذويانها في الآخر. وتعمل على تكريس الحياد والتحلل من كل التزام وارتباط بأية قضية، وهي بهذا تقوم بوهم غياب الصراع الحضاري أي التطبيق والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري. وبالتالي يحدث فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة مما يفقد الهوية الثقافية من كل محتوى، فالعولمة عالم بدون دولة، بدون أمة، بدون وطن^١، انه عالم المؤسسات والشبكات العالمية التي تتفاعل على فرضه وتثبيته وإجبار مختلف شعوب المعمورة على تبني تلك القيم وهيكلها ونظرتها للإنسان والكون والحياة، هذا بشكل عام.

وقد تناول الكتاب والباحثون تعريف العولمة كل منهم من زاوية واهتماماته فمنهم من تناول الجانب السياسي بدفع اقتصادي ونبه على خطورته كما فعل د. سعد البازعي^٢ حيث يقول: "العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيماً تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة. إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنساني للهيمنة على الاقتصاديات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر والحصول على أكبر قدر من المستهلكين، وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسويق مطلباً إنسانياً قديماً وحيوياً ومشروعاً، فإن ما يحدث هنا يختلف في انه بحث يمارس منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية ويؤدي من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية بينما يركز آخرون على الجانب الثقافي

^١ - ينظر: د. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧م ط١ ص١٤٧-١٤٨.

^٢ - ينظر: سعد البازعي بحث بعنوان (منقون العولمة والضرورة والضرر)، نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧) ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ط١ ص٧٣.

والى ذلك يشير الدكتور محمود سمير المنير ويسميه فرض النموذج الثقافي حيث يقول: "فالغرب يريد فرض نمودجه وثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماطه واستهلاكه على الآخرين^١ أو غزو شامل كما اعتبرها اسعد السحمراني ويشأ التفريق بينها وبين الأمركة حيث قال: إن العولمة/ الأمركة غزو ثقافي اجتماعي اقتصادي سياسي يستهدف الدين والقيم والفضائل والهوية، كل ذلك يعملون له باسم العولمة وحقوق الإنسان^٢، ولما للعولمة الثقافية من أهمية فإننا سنتناولها بشيء من التفصيل في المبحث القادم.

^١ - ينظر: د. محمود سمير المنير، العولمة وعالم بلا هوية، دارا لكلمة للنشر والتوزيع_ المنصورة _ مصر، ط١ ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م ص ١٢٩.

^٢ - ينظر: اسعد السحمراني، (بحث بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكابوي والهامجرجر) ،نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧) ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م ط ١، ص ١٢٩.

المبحث الثاني

العولمة (الأمركة) والخصوصية الثقافية.

ومما سبق يتضح أن مفهوم العالمية، - وخاصة الثقافية منها - دعوى لا دليل لها، بل إن البعض يجعل العولمة الثقافية مجرد خدعة لإلهاء الشعوب عن الغزو السياسي والمصالح الاقتصادية، حيث يقول حسن حنفي "يتم تصدير صراعات الحضارات للنطق بما كان مسكوتاً عنه سلفاً ولتحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاورة ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق، وتنافس في فائض الإنتاج عوداً إلى النعمة القديمة، مادية الغرب وروحانية الشرق، الحضارة اليهودية المسيحية، في مواجهة الحضارة الإسلامية البوذية الكنفوشيوسية"^١.

ونجد سمير الطرابلسي ينبّه إلى خطورة العولمة التي تشكلها الولايات المتحدة بجميع جوانبها المهمة حيث يعرفها بأنها الرؤية الإستراتيجية لقوى الرأس مالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، الرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها، وأطماعها، سائرة نحو ذلك الهدف على ثلاث مسارات متوازية: الأول: الاقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة، يحكمها نظام اقتصادي واحد، وتوجهها القوى الرأسمالية العالمية^٢ وتضبط حركته قوانين السوق

^١ - ينظر: حسن حنفي، (بحث بعنوان الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية) العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، منشورات جامعة فلاديفيا ١٩٩٩م ط ١ ص ٣٣.

^٢ - وهي: (الدول الصناعية السبع والشركات المتعددة الجنسيات الاقتصادية العالمية، صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية). ينظر: على شبكة الانترنت، تيار التضامن، يكون على الرابط :

<http://tadamone.com/news.php?extend.89.18>

وآلياته. والثاني: يهدف إلى إعادة بناء هيكلان أقطار العالم السياسية في صيغ تركز الشريعة والتشتت الإنسانيين، وتفكك الأوطان والقوميات إلى قوميات هزيلة قائمة على نزاعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني. وأخيراً المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية للأمم العالم، بغية اكتساح العالم بثقافة السوق التي توجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة، وتشيع الإحباط والخضوع، منطقتنا العربية ترجمة لهذه التوجهات من خلال مشاريع الشرق أوسطية والمتوسطية^١.

والذي يظهر لي من خلال تعريفات العولمة واستقراء مسيرة النظام العالمي الجديد أن اقرب مقصود بالنسبة للعرب والمسلمين هو القضاء على الهوية الثقافية ومن ثم نيل كل ما بعدها، وهو ما ذهب إليه أسعد السحمراني وعبر عنه الدكتور محمد علي حوات فقال: وهي مرادف للأمركة بكل ما تحمله من معاني الحقد والكراهية والعنصرية التي تمارس ضد العرب والمسلمين فضلاً عن نهب أموالهم والسيطرة على أراضيهم ومنابع خيراتهم وحرّيتهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي، ومحاولة القضاء على خصوصياتهم وهوياتهم الثقافية من خلال دمجهم في نظام شرق أوسطي متناقض الأعراق والثقافات يكون لإسرائيل حق السيطرة عليه بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية (قائدة النظام العالمي الجديد ورائدة المسيرة العولمة)^٢.

^١ - ينظر: سمير الطرابلسي (بحث بعنوان العرب في مواجهة العولمة)، نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧)، رجب ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ط١ ص ٥١-٥٢.

^٢ - العرب والعولمة د. محمد علي حوات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر - ٢٠٠٤م، ط٢، ص ١٩-٢٠.

ويؤيد هذا ما ذهب إليه الدكتور محمد عابد الجابري عندما تحدث عن العولمة كترجمة لكلمة (mondialisation) في الفرنسية، على أن هذه الكلمة ترجمة لكلمة (Globalization) الإنجليزية التي ظهرت أول ما ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تفيد معنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل، وبهذا المعنى يمكن أن نحس، أو على الأقل نفترض، أن الدعوة إلى العولمة بهذا المعنى إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعات وجعله يشمل الجميع: العالم كله. ومن هنا نستطيع أن نحس، منذ البداية، إن الأمر يتعلق بالدعوة إلى توسع النموذج الأمريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله^١.

بل إن الفرنسيين أنفسهم يرون ذلك يقول الدكتور محمد سمير "وإذا كان الفرنسيون يرون العولمة صيغة مهذبة للأمركة التي تتجلى في ثلاثة رموز هو سيادة اللغة الإنجليزية كلغة للتقدم والاتجاه نحو العالمية، وسيطرة سينما هوليوود وثقافتها الضحلة وإمكاناتها الضخمة، ومشروب الكوكاكولا وشطائر البرجر والكتاكي..."^٢.

والتصريح بأنها أمركة تصريح صحيح باعتبارها المؤثر الأقوى وقد أكد الرئيس الأمريكي جورج بوش ذلك، حين قال في مناخ الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية: إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي^٣.

^١ - ينظر: قضايا في الفكر المعاصر د. محمد عابد الجابري مرجع سابق ص ١٣٦ - ١٣٧.

^٢ ينظر: العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ص: ١٢٩.

^٣ - ينظر: أسعد السحمراني، (بحث بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكاويوي والهامبرجر)، نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧) ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ط ١، ص ١٢٩.

وربما تكون صهيينة لاسيما واستثمار اليهود الذين يقودون الغرب وأمريكا تحديداً للعولمة للسيطرة على العالم من الاستعمار إلى الاستحمار (ركوب الأمم واستغلالها دون القضاء عليها)^١.

فالعولمة نموذج من مخططات الاستعمار التي تبّه عنها وكتب فيها، الأمير شكيب أرسلان رحمه الله وهذا قبل ظهور مصطلح العولمة، وقد كتب يقول: "غوليامو فريير" الفيلسوف الكاتب الايطالي الشهير في علم الاجتماع والتاريخ لا في ايطاليا فحسب بل في أوروبا بأجمعها، وإذا كتب كتاباً أو نشر مقالة تجاوزت لها أصداء الشرق والغرب وتركت دويّاً. نشر الفيلسوف المؤرّخ المشار إليه كتاباً أخيراً باسم "وحدة العالم" لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات طاف فيه على جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية، ودقق في مصادرها وأسبابها، فذهب إلى أنها مع تناقضها وتصادمها بعضها ببعض سائر في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل إلى هذه النتيجة وهي: أن مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن "أي الأوروبي" منذ أربعة قرون، والذي بدأ بطيئاً وانقلب سريعاً في آخر الأيام، يظهر للمأمل أنه آيل إلى "توحيد العالم الإنساني" ولم يكن هذا التوحيد ليتم بدون جهد وبدون بلاء، لأن البشر خلقوا أطواراً، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد، مع هذا كله تجد العالم سائراً إلى الوحدة، فإذا نظرنا إلى كيفية النظام السائد الأيل إلى هذه الوحدة وجدناه: بالإنجيل، وبالسيوف والإفناء، وتبدل المساعدات، وتبادل طلقات المدافع... ثم يقول: هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الايطالي فرييرو ظهر انه يقصد بالإنجيل "الثقافة الغربية" التي هي وحدها

^١ - ينظر: خالد أبو الفتوح (مقالة العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة)، مجلة البيان، العدد ١٣٦ ص ٩١.

تمشي في أسيا وإفريقيا وفي يدها الواحدة "السيف" وفي الآخر "ضمد للجرح" وهي وحدها تفتن في
 رق استئصال البشرية وفي طرق توفير صحة البشر، تجمع في وقت واحد بين الضدين، وهي التي بين
 يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة أخرى^١.

^١ - ينظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، الدمام، المملكة
 العربية السعودية، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ١٩٨-١٩٩.

المبحث الثالث

الآثار السلبية للعولمة الثقافية

إذا كانت العولمة وصف لظواهر متعددة كالتيقدم في وسائل الاتصال والانفتاح المعلوماتي وذهاب الحواجز بين الدول مع سلطة القطب الواحد الذي يسعى للهيمنة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية، وهو ما سَمَّاه كثير من الباحثين بـ "الأمركة"، وللأسف أن أمريكا لا تهدف إلى تطبيق قيمها فحسب، بل إنها تنطلق من مصالحها الذرائعية المجردة من المبادئ والتي تكيل بمكيالين والتي تشكل خطوة عظيمة على القيم والأخلاق والهويات لا سيما الإسلامية، وهوة ما يمكن ان نطلق عليه اسم "العولمة الثقافية"، وهي اشد ألوان العولمة خطرا، وأعدمها أثرا، حيث تفرض ثقافة امية على سائر الأمم، أو ثقافة الأمة القوية على الأمم الضعيفة المغلوبة، أو بعبارة أخرى فرق الثقافة الأمريكية على العالم كله، مسلمه ونصرانيه، موحدته ووثنيه، ملتزم وإباحية، ووسيلته إلى هذا الغرض الأدوات والآليات الجبارة العابرة القارّات والمحيطات، من أجهزة الإعلام التأثير بالكلمة المقروءة والمسموعة والمرئية، بالصوت والصورة، والبت المباشر، وشبكة المعلومات

^١ - وهذا هو واقع القوى العظمى اليوم وعلى رأسها أمريكا يحرم الشيشان من الانفصال عن روسيا ويجبر أهل تيمور على الانفصال من اندونيسيا بتدخل من استراليا ودعم من الغرب .. وكذلك تنفصل تماما دول البلطيق وجورجيا من روسيا بينما الدول الإسلامية باستقلالها غير كامل .. ودية الأفغاني الذين قتلوا في عرس ٢٠٠ دولار اعترفت أمريكا بالخطأ بينما من قتل في لوكربي ١٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار أي ٥٠,٠٠٠ ضعف . وانظر إلى مزيد من ازدواجية التعامل هذه : المسلمون والعولمة د. يوسف القرضاوي ص ٢٣-٢٥ .

العلمية"الانترنت" وغيرها^١. فالعولمة الثقافية تبشر اليوم بتقارب الثقافات والخصوصيات والهويات واحتكاكها، تذوب معها الفوارق بين الثقافات، وتضمحل الحدود والأسوار، لكن مال هذا التقارب والاحتكاك الثقافي مازال حتى الآن غامضا وغير معروف وان كانت مقدمات حاضرة في حياتنا اليومية عبر وسائل الإعلام الناقلة للقيم الوافدة والثقافات الأخرى، وأبرزها الثقافات الغربية المادية والعلمانية التي تمجد قيم الاستهلاك والربح والأنانية والكسب السريع.

وقد أوحى هذا التقارب بين الثقافات للغرب بالمخاطر التي يمكن ان تسفر عنه العولمة الثقافية، وبالتخوف من السلام والثقافة الإسلامية، فظهرت مقولة "صدام الحضارات" للباحث الأمريكي "صامويل هنتجتون" ١٩٩٣ م التي يتحدث فيها عن المخاطر الكامنة في الثقافات الأخرى ومنها الإسلامية _ على الثقافة الغربية المسيحية^٢، وهذا يعني أمرا واحدا ينبغي علينا نحن المسلمون أن نفقهه، وهو أن الغرب الذي سبق إلى التبشير بالعولمة وكان الرابع الوحيد منها هو نفسه المتخوف على ثقافته وحضارته، إن العولمة الثقافية ستفتح الباب أمام المنافسة الحضارية والثقافية بين الثقافات، من اجل الهيمنة واغلبه على الثقافات الأخرى، وفرض السيطرة على العالم وزرع القيم الحضارية الواحدة التي ستصبح إذا المفتاح الوحيد الذي يخول للشعوب فرصة الدخول إلى نادي العولمة، وقد شرعة الولايات المتحدة الأمريكية فعلا في تصدير قيمها الثقافية إلى باقي دول المعمورة، واستشعره أوروبا نفسها المخاطر نفسها مخاطر هذا التغلغل الأمريكي في نسيجها الثقافي،

^١ - ينظر المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي مرجع سابق، ص ٤٦.

^٢ - ينظر د. حازم الببلاوي، نحن والغرب عصر المواجهة ام التلاقي، دار الشروق ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م ط ١ ص ٣٥-٣٦ للاستزادة.

الأمر الذي أدى إلى ردود فعل قوية من قبل المسؤولين الأوروبيين وخاصة الفرنسيين منهم وطلبوا "بالاستثناء الثقافي" في مفاوضات منظمة التجارة العالمية^١.

ولعل من بين السمات الحقيقية لثقافة العولمة هي بالتأكيد النسبية والتغير المستمر ثقافة العولمة ثقافة تركض وراء كل جديد في الأسواق العالمية وهذه الأسواق هي التي تحدد القيم وليس العكس ، وهذا يشير إلى أن هذه الثقافة مجردة عن المبدأ الأخلاقي الذي يشكل أساس ثقافة بانية ومؤسسة لا ثقافة الهدم والخراب الإنساني ، فلا مكان للقيم الروحية في هذه الثقافة السطحية المادية بل قيم مادية متغيرة باستمرار يحكمها مبدأ الجديد في كل شيء ، وتعارض مع الأخلاق والأديان التي تؤكد على الثوابت الراسخة .

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب ، رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم بل انه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب حيث توالى مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص^٢ ، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل مركزا على الحقوق الجنسية والحق بالإنجاب والإجهاض والشذوذ ، قضية المساواة بين الرجال

^١ - ينظر: إدريس الكنبوري ، العولمة والهيمنة الثقافية الأمريكية ، الفرقان ، عدد ٤٣-١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م ص ١٠١ .

^٢ - مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥ م ، مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤ م ، مؤتمر بكين عام ١٩٩٥ م ، ومؤتمر اسطنبول عام ١٩٩٦ م ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩ م ، ثم مؤتمر بكين ثم مؤتمر نيويورك عام ٢٠٠٠ م .

والنساء والمساواة في الميراث. .الح، وكل هذه من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية التي تبيح الزنا واللواط وتمنع تعدد الزوجات .

وقد اتخذ الأمر في الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان المنعقد في القاهرة بوجوب عوامة الإباحية الجنسية ،فيقول: أنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة ،المنطوية على أن يكون الأفراد من جميع الأعمار أزواجا وإفرادا فتيانا وفتيات مراهقين ومراهقات قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة هي كالغذاء ،حق للجميع ينبغي ان تسعى جميع البلدان بتوفيره في أسرع وقت ممكن في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م ،أي انه أكثر من مباح فالسعي لتحقيقه في جميع البلدان في أسرع وقت

ممكن وقبل سنة ٢٠١٥م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكفي هذه الوثيقة بذلك ، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسؤول.^٢

بل ونجد ممارسات منفردة ، حيث نجد أن أمريكا تضغط تارة باسم حقوق الإنسان^٣، وتارة باسم الديمقراطية والحرية لتمرير ما تريد على دول العالم التي لا توافقها ، وللأسف إن الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها التي تمثل أسوأ ما عنده بينما لا يسعى إلى عوامة العالم

^١ - ينظر: د.إسماعيل علي محمد ، العوامة الثقافية وموقف الإسلام منها ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ط ١ ، ص ٢٧.

^٢ - ينظر: د. محمد عمارة ، مخاطر العوامة على الهوية الثقافية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٩م ، ط ١ ، ص ٢٧.

^٣ - التي أهدرتها في أبو غريب وجوانتنامو ومذابح وقصف أفغانستان والعراق .

والتقدم حيث يجب الاحتفاظ به لفرض مزيد من الإذلال والتبعية ، فضلاً أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه ، وتكمن سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإرادة السياسية على شعوب العالم الفقيرة ، بل والسعي إلى إفقار من ليست فقيرة ، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها ، وبالمعلومات ومنتجاتها وتدفعها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها وإمكانياتها^١.

كما أن مما يزيد من خطورة العولمة ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي تمسك بخيوطها ، تسير هذه القوة في السيطرة مع القوة الغاشمة العسكرية في فرض العولمة على الآخرين ، فوظيفة المنظومة الإعلامية هي إن تسلي وتلهي وتعلم وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الآخرين ، ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية تماماً لميزانية الدفاع في بعض الدول ، فإحصاءات عام ١٩٨٦م تقول انه بلغ رقم الاقتصاد الإعلام في الغرب والاتصالات مبلغ (١١٧٥) بليون دولار تقريباً منها (٥٠٥) بلايين للولاية المتحدة الأمريكية و(٢٦٧) بليوناً للجماعة الأوربية ، و(٢٥٣) بليوناً لليابان ، و(١٥٠) بليوناً فقط للآخرين في العالم . . هذه الميزانيات الضخمة للإعلام في الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام المتدفع ، في اتجاه الجنوب

^١ - ينظر : د. صالح أبو ضلع، العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون ٤-٦-١٩٨٨م
كلمة عميد كلية الآداب، منشورات جامعة فلاديفيا، ١٩٩٩م، ط١، ص ١١.

الأمر الذي أحدث خللا في المنظومة الإعلامية ، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار المم المتحدة لوضع أسس لقيام نظام إعلامي جديد يحقق التوازن بين الشمال والجنوب.^١

وهناك الدراسات الكثيرة التي تبين معاناة الشعوب الشرقية (ليست إسلامية) السائرة في الفلك الغربي كالإبان وكوريا الجنوبية من العولمة ومن الدراسات الميدانية التي تمت لمعرفة تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري الجنوبي اتضح إن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ في القيم التقليدية الكورية ، فأصبحت الفتيات الكوريات أكثر تحررا من من القيم الأسرية والأخلاقية ، ويعتقدن انه لأخرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج ، وإن ذلك من قبيل الحرية الجنسية ، وأصبحن يرتدين الملابس الأمريكية ، ويحترقن العقيدة الكنفوشيوسية.^٢

كما أننا نجد دولاً كالفلبين وهي دولة تصنف أنها نصرانية سائرة في الفلك الأمريكي حيث لأنجد في دراسة أجريت على (٢٥٥) طالبا فلبينيا وجد أن التعرض للمواد التلفزيونية الأمريكية قد ارتبط إيجابيا بتأكيد هؤلاء الطلاب على قيمتي "المنفعة والمادية" باعتبارهما القيمتين الأكثر أهمية في حياتهم ، في حين تدنت لديهم قيم فلبينية أصيلة مثل : الصفح والتسامح والتضحية والحكمة^٣ ، وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من عولمة الثقافة على الهوية ، حيث نجد أن فرنسا مع أنها غربية نصرانية ، ولكن بسبب اختلاف اللغة فإنها أكثر الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الانجليزية ، والخوف على الهوية الفرنسية لذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع

^١ - ينظر: العولمة وعالم بلا هوية ، محمود سمير المنير، مرجع سابق ص ١٣٠-١٣١.

^٢ - ينظر: د. عمار طالبي ، (دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق) مجلة الرائد ، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا ، العدد (٢٣٦) ربيع الأول ١٤٢٤هـ مايو ٢٠٠٢م، ص

^٣ - ينظر: د. باسم علي خريسان ، العولمة والتحديات الثقافية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠١م ، ص ١٣٢.

الثقافة في خانة الاستثناء ، لأنهم تنبهوا أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة^١ ، بل أن هناك دراسة في استراليا وهي بلد غربي نصراني يتحدث الانجليزية أي مشارك للولايات المتحدة في الهوية تقريبا يشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال ، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية^٢ . وكذلك كندا حيث عبرت وزيرة الثقافة الكندية "شيلاكوبي" عن انزعاجها من الهيمنة الثقافية الأمريكية ، وتدخله قائلة : من حق الأطفال في كندا أن يستمتعوا بحكايات جداتهم ، ومن غير المعقول والمقبول أن تصبح (٦٠%) من برامج التلفزيون الكندي مستوردة ، وأن يكون (٧٠%) موسيقانا أجنبية ، وأن يكون (٩٥%) من أخلاقنا ليست أمريكية^٣ .

وفي هذا السياق فإن تفوق صناعة الإعلام والترفيه الأمريكية على مثيلاتها الأوروبية واليابانية في إنتاج وترويج المنتجات الإعلامية والترفيهية في بقية أنحاء العالم بما فيها أوروبا ذاتها ، وفي عام ٢٠٠٠ خرج برنامج للأمم المتحدة للتنمية في تقريره السنوي حول التنمية البشرية عن صمته ليعبر عن هواجسه من زحف العولمة على الثقافات ، وأشار التقرير إلى أن طوفان الثقافات الأجنبية يمكن أن يؤدي إلى تخريب التعددية الثقافية في العالم ويدفع الشعوب إلى التخوف من فقدان هويتها الثقافية ، وأوصى التقرير بضرورة حضور جميع الثقافات في العالم والتعبير عن نفسها ، مستشهدا بمقولة شهيرة للمهاتما غاندي يقول فيها : "إنني أقبل أن تعمري جميع الثقافات الموجودة ، لكنني لا أقبل

^١ - ينظر : دراسة العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي ، مرجع سابق ص ١٢ .

^٢ - نفسه ص ١١

^٣ - ينظر : نحن والعولمة من يربي الآخر ، مقال للأستاذ أنور عشقي ، بعنوان الشياطين تختبئ في التفاصيل ، كتاب المعرفة (٧) ص ١٧٧ .

^٤ - ينظر : العرب والعولمة د. محمد علي حوات ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ .

أن تدهسني واحدة منها" ولقد أشار التقرير _استنادا إلى تقرير منظمة اليونسكو_ إلى أن الثقافة أصبحت تخضي بأهمية اقتصادية كبرى في السنوات الأخيرة ،حيث تضاعفت قيمة المبادلات العالمية من الإنتاج الثقافي بين ١٩٨٠-١٩٩٠ ثلاث مرات من ٦٧ إلى ٢٠٠ مليار دولار ، وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية النسبة الأكبر في هذا المجال^١.

وهذه الأمثال توفرها مئات الدراسات في أنحاء العالم من خوف المثقفين على هوية شعوبهم من العولمة الأمريكية ، فنقول ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن ، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من اثر العولمة على الهوية ، إن اخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية ، لما تدعوله من وحدة الأديان ، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها ، وتهدمها من أصلها لان دين الإسلام قائم على حقيقة انه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء ، ثم أصابها التحريف والتغيير ، ودخل على إتباعها الانحراف العقائدي .

ان هذا العالم المادي كما يعبر الدكتور عبد الوهاب المسيري لا يعرف المقدسات أو المطلقات أو الغائيات (الغايات) ، وهدف الإنسان من الكون هو عملية التراكم والتحكم هذه ، التي ستؤدي في نهاية الأمر الى السيطرة على الأرض وهزيمة الطبيعة^٢.

^١ - ينظر : هانس مارتين ، وهارالد شومان : فخ العولمة - ترجمة عباس علي - عالم المعرفة- الكويت - أكتوبر ١٩٩٨م ، ص ٤٢.

^٢ - ينظر : د. عبد الوهاب المسيري ، العالم من منظور غربي ، منشورات دار الهلال ٢٠٠١م ، ص ١٢٩.

إن المنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة بدأت بإعلان موت الإله باسم مركزية الإنسان ، وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة ، والحقيقة المادية ، وهذه هي الواحدة المادية : أن تصبح كل المخلوقات تماما لنفس القانون المادي الصارم وان يسود منطق الأشياء على الأشياء وعلى الإنسان وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي^١.

وإذا انتقلنا من العقائد التي هي أصل الهوية إلى اللسان واللغة التي هي أداة التفاهم والتواصل ، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي ، وما نراه اليوم من طغيان الثقافة الغربية ، حيث تشكل اللغة من الإسهام في نقلها ، مما أدى بدوره إلى عولمة اللغة الانجليزية وتقلص وانكماش بقية اللغات^٢.

إن احصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر ، ونصف هذا الإجمالي كما في تونس والجزائر ، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبتة إذ تبلغ (٥٨,٢%)^٣ ، ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة .

أما إذا انتقلنا إلى السلوك والأخلاق فإن المبادئ الأخلاقية التي تتهاوى في الغرب يوما بعد يوم حيث سيادة المصالح والمنفعة واللذة وتعظيم الإنتاج والاستهلاك ، هذه الحضارة ابتداء من حربيها العالميتين وانتهاء بمشاكلها المتنوعة الكثيرة مثل تآكل مؤسسة الأسرة ، وانتشار الإيدز

^١ - ينظر : العالم من منظور غربي ، د. عبد الوهاب ألمسييري ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ .

^٢ - ينظر : المسلمون والعولمة ، د. يوسف القرضاوي مرجع سابق ص ٤٩-٥١ .

^٣ - ينظر : نبيل الدجاني ، العرب والعولمة ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ م ، ط٢ ، ص ٣٣٥ .

والمخدرات وتراكم أسلحة الدمار الكوني والأزمة البيئية وتزايد اغتراب الإنسان الغربي عن ذاته وعن بيئته.^١

كما تسوق العولمة لوهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، ومن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي، ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم ومن أحدث محاولات العولمة: محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه Gender بدل كلمة Sex.^٢

وهناك دراسة تؤكد أن ١٠٠% من الإعلانات الموجهة للشباب من الجنسين تحتوي على الإثارة سواء في الشكل أو المضمون^٣، وإغراء النساء بتقليد الأزياء الغربية وأدوات الزينة، والمشاركة في مسابقات "ملكات الجمال" في إطار عولمة شكل جسد المرأة وما يتخلل ذلك من عرض رخيص لجسد المرأة^٤.

لقد أشار عدد من الباحثين والمفكرين العرب والمسلمين إلى مخاطر العولمة على الخصوصيات الثقافية للشعوب، وتهديدها للتعدد الثقافي وحتى اللغوي.

^١ - ينظر: العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري مرجع سابق، ص ٢٢٠.

^٢ - ينظر: محمد بن سعد التميمي، العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة. ط ١٤٢٢-١ هـ - ٢٠٠١م - ص ٢٧٦-٢٧٩.

^٣ - ينظر: المسلمون والعولمة، د. يوسف القرضاوي، ص ٦٩.

^٤ - المصدر نفسه ص ٦٣ وما بعدها.

المبحث الرابع

موقفنا نحن المسلمون من العولمة

ان المبالغة في تقدير مخاطر العولمة بالنسبة لنا نحن المسلمون قد تكون دافعا نحو الاستسلام لتيارها والتعامل معها على أنها قدر لا مفر منه وهو ما يتنافى مع عقيدتنا التي تمتلك من لوازم القوة والصلابة والصمود ما أوهى صخورا عاتية كثيرة في الماضي والحاضر وردت على إعتابها .

إن موقف المسلم من العولمة ينبغي أن يكون موقفا متشعبا بالنظرة الإيمانية القوية ومسلحا بالتفاؤل وعاملا على خوض غمار العولمة بالوسائل التي يتيحها الدين الإسلامي الخاتم وهي التحصين والتربية القوية والعلم والمعرفة، اذ من دون ذلك لم يكن المسلمون ليصمدوا في الماضي أمام الغزاة والمحتلين والمستعمرين، قبل أن يكون هناك ما يسمى بالعولمة . فالعولمة ظاهرة عالمية جديدة تطرح تحديات جديدة، وقد كان المسلمون باستمرار يجابهون الكثير من التحديات منذ أن ظهر الإسلام وأضاء نوره الكون، وكانت هذه التحديات بالنسبة لهم جديدة، بمقاييس عصرهم وإمكاناتهم المتاحة، ولكنها لم تكن مخيفة أو تعجيزية بالنظر إلى الشحنة الإيمانية القوية التي كانوا يخوضون بها لبحر المعارك الحضارية الكبرى^١.

وربما كان جزء كبير من تخوف المسلمين اليوم من ظاهرة العولمة عائداً إلى أمرين أساسيين: الأمر الأول عدم العودة إلى تاريخنا الإسلامي العظيم وسجله الضخم وقراءته قراءة

^١ - د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مقال عن موقف المسلمين من العولمة، العالم الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)، الاثنين ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٠هـ - ١٢ يوليو ١٩٩٩م بتصرف.

فاحصة وتدبر دروسه ومواعظه. والأمر الثاني انهيار المعنويات النفسية والشعورية والإيمانية للمسلمين، وهناك أمر ثالث يثار عند المبالغة في التخوف من ظاهرة العولمة. فهذه المبالغ قد تعود أيضاً إلى الاعتقاد الواهم لدى فئات من المسلمين بأنهم لا يملكون ما يقدمونه للعالم، بينما يملك العالم ما يقدمه للمسلمين، وهذه مقولة خاطئة تعود إلى العاملين السابقين. إن المسلمين يملكون شيئاً كثيراً يمكنهم تقديمه إلى العالم لو عرفوا كيف يسحرون الوسائل الحديثة لذلك، وإذا أدركنا أن هذا واجب على المسلمين انطلاقاً من مبدأ الشهادة على الناس وهداية البشرية، عرفنا أن العولمة ليست غولاً مرعباً، بل هي على العكس قناة جديدة تفتح أمام الرسالة الإسلامية وليس غريباً أن يكون الغرب هو نفسه أول من يعرف هذه الرسالة الإسلامية ويوجس خيفة منها، ويضع نظرية حول صدام الحضارات انطلاقاً من هذا التوجس. إن العولمة لا تشكل خطراً بذاتها على المسلمين، ولكن سوء التعامل وعدم اختراقها هو ما يشكل أسوأ الخطر علينا^١

إن الدعوة إلى العولمة لا ينبغي أن يقصد بها طمس هوية الشعوب، وإلغاء خصوصيتها الحضارية. ولا الغرض من عناصر هويتها الدينية والثقافية، أو قطع الصلة بينها وبين تاريخها وتراثها الحضاري. وأكثر ما ينطبق ذلك على العالم الإسلامي الذي يؤمن بدينه عقيدة وشريعة ويعتز به، ويمكن أن يسهم بالإضافة والتجديد إلى حضارة الإنسان المعاصر في نطاق عالمية الإسلام، وأن المسلمين يملكون رصيдаً ضخماً في مجال الثقافة والقيم والعلاقات الإنسانية، والتعاون بين الأمم والشعوب، فينبغي إن يكون للإسلام نصيبه في بناء أي نظام عالمي جديد وأن يكون له مكانة في

^١ - ينظر: مقال عن موقف الإسلام من العولمة، العلم الإسلامي، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مرجع سابق بتصرف.

الدعوة إلى التعايش السلمى بين البشر، ويقول الدكتور محمد فاروق النبهان: "نحن نجد ملامح العولمة فى القيم الإسلامية التى تدعو إلى التكافل بين الناس، والتعاون على الخير وإلغاء كل مظاهر التمييز العنصرى، ومقومة كل دعوة إلى إقليمية ضيقة أو قومية متفوقة، أو عصبية جاهلية".^١

وإذا كانت العولمة ظاهرة جديدة نشأت فى الغرب، فإن الإسلام جاء بالعالمية الإنسانية منذ عدة قرون، وهى البديل الأخلاقى للعولمة الغربية، والإسلام لم يكن عالماً فقط لأنه موجه غالى العالمين، بل كذلك لأن الحضارة الإسلامية حضارة شاملة ومكتسب للبشرية جمعاء، ولم يكن العرب سوى نواة هذه الرسالة، أما محيطها فهو كل الإنسانية. وقد ساهمت الشعوب الأخرى جميعها فى بناء هذا الصرح الشامخ، فهى حضارة غنية فى ذاتها تداخلت فيها إسهامات كل الشعوب.

وإذا كان المسلمون قد اتخذوا من العولمة ثلاث مواقع: إما مندفع بالتجاهها، متحمس لها بغير قيود ولا تحفظ، وهذا وهذا موقف "دعاة التغريب" و"التطبيع" فى العالم الإسلامى. وأما الطرف الآخر فهم عكس هؤلاء، يهربون من المواجهة، ويعزلون الأحداث، ويغيبون عما يدور فى فلك السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع، بسلبية ليست من روح الإسلام فى شيء.

أما الموقف الوسط الذى يوافق روح الإسلام فى تعامله مع الثقافات والحضارات فى السابق، فهو موقف المؤمن القوى البصير المنفتح، المعتز بهويته، الواعى لرسالته المتمسك بأصالته، المؤمن بعالميته، المغالى بثقافته الذى لا يفر من المواجهة، ولا يخاف من الحوار، بل ينطلق من أفق

^١ - المصدر السابق .

واسع، ويقف على ارض صلبة، يأخذ ويعطي، يستقبل ويرسل ولا يفرط في خصائصه الذاتية ولا مقوماته الأساسية.^١

^١ - ينظر: المسلمون والعولمة، د.يوسف القرضاوي، مرجع سابق ، ص ١٣١-١٣٢.

الخاتمة

وفي الختام وبعد ما استعرضنا هذه العوائق التي تعترض طريق المسلم المعاصر في استئناف الدور الحضاري المرتقب بيقين إن شاء الله تعالى هل هذه العوائق من القوة الفاعلية بحيث لا يستطيع المسلم التغلب عليها، أم أن عند المسلم من الرصيد والفاعلية ما يستطيع به مواجهة العوائق وتذليل الصعاب، وهذه بعض الملامح المختصرة لمواجهة العوائق نختم بهذا البحث:

التشبت بالإسلام عقيدة وشرعية وتحكيمه في النظر إلى الظواهر العالمية المستجدة، عناصر هذه الخطوات العملية التالية:

- ١- تحصين الذات بالتربية الإسلامية الصحيحة والسلمية للفرد والأسرة، والطفل بالخصوص لأنه رجل المستقبل والحامل لبذور القوة والهزيمة بحيث التنشئة التي يتلقاها في وسطه.
- ٢- بناء إستراتيجية ثقافية إسلامية قوية وفعالة تقدم الإسلام للبشرية على أنه البديل والخلاص الوحيد من محن التيارات المادية، وتوضيح حقيقة النموذج الحضاري الإسلامي.
- ٣- وضع قاعدة لإعلام إسلامي يعني بتقديم الصورة الحقيقية للإسلام باعتباره هداية للبشرية، وكشف عورات الحضارة الغربية المادية وبيان مخاطرها على الجنس البشري.
- ٤- إنشاء سوق اقتصادية بين دول العالم الإسلامي لتبادل المنافع والسلع بما يحقق التعامل والتكافل بين اقتصاديات العالم الإسلامي، دون الانغلاق عن بقية العالم.
- ٥- تشجيع العلم والمعرفة والبحث عن الخيرات والتوظيف الناجح لتحقيق الاكتفاء الذاتي لشعوب العالم الإسلامي من الغذاء والدواء.

٦- ترشيد الاستهلاك والتوعية بذلك، حتى تستعيد المسلم روح الاقتناء، فتصرفه عن دوره الحضاري المنشود، ويرضى بالدون من المواقع والآمال.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

١. إدريس الكنبري ، العولمة والهيمنة الثقافية الأمريكية ، الفرقان ، عدد ٤٣-١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
٢. اسعد السحمراني،(بحث بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكاويوي والهامبرجر) ،نحن والعولمة من يربي الآخر،سلسلة كتاب المعرفة(٧)١٤٢٠هـ_١٩٩٩م ط ١ .
٣. اسعد السحمراني،(بحث بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكاويوي والهامبرجر)،نحن والعولمة من يربي الآخر،سلسلة كتاب المعرفة(٧) ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م ط ١ ، .
٤. إسماعيل علي محمد ، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ط ١ .
٥. إسماعيل علي محمد ، العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م ط ١ .
٦. باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، دار الفكر العربي ،بيروت ،لبنان، ٢٠٠١م .
٧. تيار التضامن،يكون على الرابط : <http://tadamone.com/news.php?extend.89.18>
٨. حازم الببلاوي، نحن والغرب عصر المواجهة ام التلاقي، دار الشروق ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ط ١ .
٩. حسن حنفي،(بحث بعنوان الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية)العولمة والهوية،المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون ،منشورات جامعة فلاديفيا ١٩٩٩م ط ١ .

١٠. خالد أبو الفتوح (مقالة العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة)، مجلة البيان، العدد ١٣٦.
١١. سعد البازعي بحث بعنوان (متفقون العولمة والضرورة والضرر)، نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧) ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ط ١.
١٢. سمير الطرابلسي (بحث بعنوان العرب في مواجهة العولمة)، نحن والعولمة من يربي الآخر، سلسلة كتاب المعرفة (٧)، رجب ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ط ١.
١٣. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مقال عن موقف المسلمين من العولمة، العالم الإسلامي (رابطة العالم الإسلامي)، الاثنين ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٠هـ - ١٢ - يوليو ١٩٩٩.
١٤. عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، منشورات دار الهلال ٢٠٠١م.
١٥. عمار طالبي، (دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (٢٣٦) ربيع الأول ١٤٢٤هـ مايو ٢٠٠٢م.
١٦. محمود سميرا لمنير، العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر ط ١ ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
١٧. محمد عابد الجابري قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سابق ص ١٣٦ - ١٣٧.
١٨. محمد بن سعد التميمي، العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة. ط ١ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
١٩. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧م ط ١.
٢٠. محمد عبد القادر حاتم، العولمة مالها.. وما عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - مصر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢١. محمد علي حوات، العرب والعولمة مكتبة مدبولي - القاهرة - مصر ٢٠٠٤م ط ٢.

٢٢. محمد عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٩م، ط ١ .
٢٣. محمد عمارة ، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٩٩م، ط ١.
٢٤. محمود سمير المنير، العولمة وعالم بلا هوية، دارا لكلمة للنشر والتوزيع_المنصورة _مصر، ط ١ ١٤٢١هـ_ ٢٠٠٠م .
٢٥. محمد محمود الصواف ، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، دار الاعتصام ، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .
٢٦. يوسف القرضاوي ، المسلمون، دار التوزيع والنشر الإسلامية-بور سعيد-مصر- ١٤٢١هـ - ١٩٩٣ .
٢٧. نبيل الدجاني ، العرب والعولمة ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز الدراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨م ، ط ٢.
٢٧. نحن والعولمة من يري الآخر ، مقال للأستاذ أنور عشقي ، بعنوان الشياطين تختبئ في التفاصيل ، كتاب المعرفة.
٢٨. هانس مارتين، وهارالد شومان : فخ العولمة - ترجمة عباس علي - عالم المعرفة- الكويت - أكتوبر ١٩٩٨م .